

في مواجهة الانسداد التاريخي الراهن

حوار مع الكاتب الفلسطيني محمد حافظ يعقوب*

"الاختيار الثوري" : هل لكم ، في البداية ، أن تسلطا بعض الاشواء على الاسباب التاريخية العامة التي أدت بالامة العربية الى الازمة التي تعيشها ، وهل تعتقدون أن الوضع الراهن له مميزاته ومعطياته الخاصة به ، أم أنه مجرد نتاج تطور تاريخي ؟ وما هي دلالات ومعانٍ هذا التطور ؟ وما حيز المشروع الصهيوني داخلها ؟

الاخ يعقوب : برأيي أنه لا يمكن فهم ما يجري الان فيما صحيحا ، الا اذا عدنا الى أصول وجود المشروع الصهيوني على ارض فلسطين . واعتقد ان هناك أكثر من اطار يمكن وضع المشروع الصهيوني داخله لفهم اهداف ومرامي واغراض هذا المشروع . الاطار الاول هو ما يمكن تسميته بالعلاقة شرق - غرب^{**} ، غرب صاعد وواثق من نفسه وفلسفته ، وألهته التي هي آلية التجارة والصناعة وفكرة التقدم ووحدة البشرية ووحدة الكون ، والتبدل التجاري بما في ذلك البضائع والانسان .. وشرق هابط مطلوب منه ان يرضخ لهذا الغرب الصاعد ولا غرضه ومراميه وللفتح المطلوب فيه . أقصد بذلك ان المشروع الصهيوني لا يخرج عن اطار حملات التوسيع الامبرالي نحو البلاد التي سميت لاحقا بالعالم الثالث بما في ذلك العالم الجديد اي القارة الامريكية . هذه العلاقة ، علاقة الشرق والغرب على مستوى العالم ، والتي يمكن تسميتها بالمسألة الشرقية على مستوى العالم العربي والاسلامي ، اي مسألة تقرير مصادر الشعوب الواقعة ضمن الاراضي التي تديرها الدولة العثمانية آنذاك ، صالح هذا الغرب الامبرالي التوسيع . وعلى مستوى تفكير الغرب بشكل عام كانت هناك تجربة القارة الامريكية واستعمارها استعمارا استيطانيا ، التي اثبتت بالنسبة لهم أنها افضل انواع الاستعمار وذلك لسببين : ان تخلق في البلد المغزو مجموعة من الناس لهامصالح مستمرة في الغرب ، اي في المتروبول . هذه المجموعة البشرية مضططرة بحكم مصالحها ايضا ان تقف ضد مصالح الاكثيرية الموجودة في الارض ، او ان تبيدها كما حدث للهنود وفي نيو زيلاندا ومناطق اخرى ، او ان تزيحها من اراضيها كما حدث في الجزائر او جنوب افريقيا . هذا على المستوى التاريخي . أما على المستوى الاقتصادي ، فهذا

(*) : المقصود بالغرب هنا ، هو اقطار اوروبا الغربية الرأسمالية التي اعادت ، اعتبارا من القرن الثامن عشر وربما قبل ذلك بقليل ، تكوين العالم برمتها تكوينا جديدا لصالحها . والمقصود بالشرق ، ليس الشرق الجغرافي ، بل كل اقطار العالم التي سميت لاحقا باقطار العالم الثالث .

تعيش الامة العربية ، وقضيتها المركزية : قضية تحرير فلسطين ، أزمة متعمدة عن سابقاتها سوء في مستوى الحدة او في طبيعة الاشكالات والمخاطر التي تفرزها .

وللاحتاطة بهذا الواقع ، ومحاولة تلمس آفاق تطوره المستقبلي ، وتوضيح المهام التاريخية الاساسية الملقاة على عاتق الوطنيين والتقديمين العرب ايا كان موقعهم ، ليست هناك من وسيلة اجدى وأفضل من الحوار الواسع والمفتوح على كل وجهات النظر ، الشامل لكل القضايا ، السياسية منها والثقافية .

ومساعدة منها في تنظيم النقاش الصريح والواضح الذي يقتضيه الطرف ، شرع "الاختيار الثوري" في مجموعة من الحوارات مع مثقفين ملتزمين ، ومناضلين من مختلف الاتجاهات والانتماءات السياسية الديمقراطية .

وفي الحصة الاولى من هذا الحوار ، نلتقي بالكاتب الفلسطيني المعروف محمد حافظ يعقوب .

(*) : من بين مؤلفات محمد حافظ يعقوب : ترجمة وتقديم لـ "سوسيولوجيا ماركس وفلسفته الاجتماعية" ، ١٩٧٢ ، دار دمشق - "نظرة جديدة الى تاريخ القضية الفلسطينية" ، ١٩٧٣ ، دار الطليعة ، بيروت - "التخلف العربي والتحرر العربي" ، ١٩٧٧ ، دار ابن رشد ، بيروت - "الاستيطان الصهيوني" ، ١٩٧٨ ، مؤسسة الارض بدمشق .

التي التحقت فيما بعد، استيطان الولايات المتحدة الامريكية ونيوزيلاندا واستراليا. وكان المطلوب فعلاً، هو خلق حالة بشرية على مستوى فلسطين، تضمن المصالح الانجليزية المتعددة من اوروبا الى العالم العربي والهند وجنوب شرق آسيا. فبريطانيا اذن هي التي بدأت منذ مطلع القرن التاسع عشر، وقبل هرتزل بسبعين او ثمانين سنة، بالدعوة الى جعل اليهود يتبنون فكرة استيطان فلسطين. وازدادت هذه الدعوة حماساً في مرحلتين: الاولى، اثناً غزو نابليون للشرق ونداً في اواخر القرن الماضي لليهود بالتوجه الى فلسطين. وقام الانجليز بنفس الدعوة وباعمال كثيرة في هذا الاتجاه منها شراء الاراضي بأثمان بخسة في فلسطين وارسال المبعوثين الانجليز، ومنها كذلك الدعوة الصهيونية في اوروبا الشرقية. وهناك الكثير من الدلائل التي تشير الى ان اصوات البريطانيين كانت من وراء الاعمال الاولى التي قامت بها بدايات التنظيمات الصهيونية في فيينا مثلاً .. باختصار، مدع المشروع الصهيوني هو خلق حالة بشرية معادية للمنطقة مهمتها الصراع ضد المنطقة والهانها في عملية لها اول وليس لها آخر... والفرق بين ما حصل في فلسطين وما حصل في القارة الامريكية ليس فرقاً في الزمان - ثلاثة قرون - بل في طبيعة الوضع العام في المنطقة وفي العالم. فالفرق الاول يتجسد في كون الحالة العربية في ذلك الوقت كانت في بداية صعود ما الذي تجلّى في مجموعة من الاحداث: ثورة ١٩١٩ في مصر، ثورة ١٩٢٠ في العراق، ثورة ١٩٢٥ في سوريا، وبداية النهضة في اقطار المغرب العربي الحديث: حركة ابن الامير عبد القادر الجزائري، تكوين الاحزاب وبداية الاصلاح الديني، الحركة الدستورية في تونس، وثورة الريف والحركة الاستقلالية في المغرب، ثورة الشعب الفلسطيني في ذلك الوقت. ومن الناحية الثانية، فإن الامكانيات البشرية للحركة الصهيونية كانت ضعيفة بالرغم من كل الدعم الامبريالي العالمي الذي قدم لها. وظلت الحركة الصهيونية عاجزة عن استقدام او تهجير فئات واسعة من اليهود حتى اواسط الثلاثينيات تقريباً، اي اثنى الحرب العالمية الثانية. مما يفسر لنا لماذا اضطرت بريطانيا الى ابقاء مائة ألف عسكري انجليزي على ارض فلسطين وفي رقعة لا تتسع لكل هذه القوة وسلاحيها. ومن ناحية ثالثة، حدث في العالم وابتداءً من اكتوبر ١٩١٧ نوع من الاستقطاب العالمي لم يسبق له مثيل على الاطلاق مع نشوء الدولة الاشتراكية الاولى في العالم.

ومجمل القول، لم تكن المهمة الاستيطانية للوطن العربي وفلسطين بالذات سهلة، مثلما حصل في أمريكا الشمالية ونيوزيلاندا وغيرها. ولولا الظروف الدولية على مستوى اوروبا آنذاك ومجموعة من السياسات التي ساهمت في دفع بعض

يضم ايضاً تطبيق نفس التجربة الموجودة في البلد الاصل على مستوى ونطاق البلد المستعمر. لا اتحدث عن تبرير عملية الغزو لأن ثمة دائماً اشكالاً كثيرة من التبريرات، منها على سبيل المثال، الفكرة الليبرالية الاقتصادية القائلة بحرية الانسان في التنقل والحركة، مثله مثل البضااعة، والمهمة الحضارية لتحضير الشعوب المختلفة ، ونشر الحضارة والادب والثقافة الغربية، اي ان هذا النوع من الاستعمار الذي يوسع جبهة التوسيع الاوروبي، هو من الناحية الاخلاقية عمل لا يتنافى مع الاخلاق الحضارية او الدين او التاريخ الخ ... سواً تم ذلك عن طريق المدفوع او الفكرة.

وخلال القول، ان تبريرات الغزو كانت دائماً موجودة عند المستعمر. ويجب فهم المشروع الصهيوني اذن من هذا المنطلق . بمعنى ، يجب ان لا نبحث عن العقيدة كالدين اليهودي او الفكرة الاشتراكية، لخلق المسؤوليات لغزو فلسطين ، بقدر ما نبحث عن التاريخ والاصول التاريخية لهذا الغزو. ومثل ما قال ماركس : "ان التاريخ هو العلم الوحيد الجدير بحمل هذا الاسم" ، اي اسم العلم، لانه هو الاطار لفهم ما يحدث فعلاً، وفي اطاره لا تكون الافكار مجرد بل تصبح وظائف توسيع حركات الطبقات او مصالح الطبقات والامماد المادية الواضحة والملموسة .

ان اول سؤال نطرحه من هذا المنطلق هو: لماذا فلسطين؟ برأيي كان ذلك لمجموعة من الاسباب، اولها ان فلسطين تقع في منطقة، تستطيع ان تقول عنها انها متوسطة في العالم العربي، هذا العالم العربي الذي يقع في مركز متوسط بالنسبة للعالم القديم : آسيا وافريقيا واوروبا . وقد قال يوماً ما نابليون بونابارت : "ان من يمسك بمنطقة الشرق الاوسط، يمسك العالم القديم ، ومن يمسك فلسطين ، يمسك هذا الشرق" . كما قال ايضاً: "ان فلسطين هي مفتاح العالم" . والمطلوب في فلسطين، ليست اراضيها المحدودة الموارد والخيرات التي تكاد لا تكفي لشعبها، بل موقعها أساساً . ومن ناحية ثانية، فإن تجربة الانجليز في القارة الامريكية ونيوزيلاندا وفي استراليا وجنوب افريقيا قد اثبتت ان افضل انواع الاستعمار، هو الاستعمار الاستيطاني . ولما لم يكن لدى الانجليز مصادر بشرية وفاض في السكان اضطروا للبحث عن مصادر بشرية جديدة، اذ ان تجربة استيطان الولايات المتحدة الامريكية ونيوزيلاندا اظهرت لهم انه من الممكن استخدام مجموعات بشرية اخرى (برتغاليين او اسبان او ايطاليين) وتحويلهم الى جزء من السياسة العامة لهذا البلد . واختيار اليهود لاستيطان فلسطين يندرج ضمن هذا الاطار، اي ان تهجير اليهود الى فلسطين يومن مصالح سياسة المستعمر في الشرق بنفس المقدار الذي امن فيه القائد البشري الانجليزي والمجموعات البشرية الاخرى

الانجليزي، ليست له من مهمة الا الاجهاز على ارض فلسطين، ومل من الصدفة ايضا ان ان تغلق ابواب اوروبا في وجه المهاجرين اليهود القادمين من اوروبا الشرقية لاجبارهم للهجرة الى فلسطين ..

والحقيقة ان فهم المشروع الصهيوني يجب ان يندرج ضمن فهم وتحليل اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦ بين الانجليز والفرنسيين لتقسيم المنطقة العربية الى منطقتين : فرنسية وانجليزية . وفي جزء من هذه الاختير تم اصدار وعد بلفور . وبهذا الصدد قال الانجليز صراحة انهم يريدون "جدارا بشريا غريبا يحمي قناء السويس" . أما حاييم وايزمان فيعتبر هذا الجدار بمثابة "حصن امامي للحضارة الغربية في وجه البربرية" .

وهذا يعني الحفاظ على الحدود المصطنعة وعلى حالة التقسيم التي خلقت لانشا دول صغيرة ضعيفة ومتقاتلة فيما بينها، وحماية هذا التقسيم والتمزيق عن طريق المزيد منه وبواسطة الكيان الصهيوني "جدار وحصن امامي" ...

"الاختيار الثوري" : نستخلص من عرضكم التاريخي هذا، البالغ الاهمية، بمعانبه الجوهرية وتدقيقاته التفصيلية، ان المشروع الصهيوني يندرج في نهاية التحليل ضمن الهجمة التوسعية للرأسمال الاستعماري والامريالي . . لكن، هل يمكن التسليم بنجاح المشروع الصهيوني ونحن مع نهاية القرن العشرين، أم فشله؟ وكيف تنظرؤن لتعامل وتعاطي المنطقة العربية مع هذا المشروع ايجابا او سلبا ، مقاومة او رضوخا؟

الاخ يعقوب : اعتقد ان الغزو الامبرالي مثله مثل عمليات تاريخية أخرى يكتسي وجهان: وجه خارجي يتجسد في العمليات الخارجية التي تستهدف اقحام مشروع ما وادخاله بواسطة العنف بالرغم من المقاومة او عدم الرضى، ووجه داخلي يتجسد في مجموع ردود الفعال الايجابية او السلبية اتجاه هذا الاقتحام . وقد يحدث في مرحلة من المراحل انحراف جزئي او كلي للوجه الثاني الداخلي في الوجه الاول الخارجي، بحيث يصبحان متتكاملين يدعم الواحد منهما الثاني . وبالنسبة للمشروع الصهيوني تحديدا في المنطقة العربية، يمكن القول انه نجح نجاحا جزئيا او فشلا كلية، حسب فهمنا ورؤيتنا لموضوع النجاح والفشل . فاما ما اعتبرنا الاهداف المباشرة للمشروع، حسب أقوال أصحابه، اى تاسيس وطن قومي لليهود على ارض فلسطين، نجد نوعا من النجاح، ولكن اذا ما

اليهود للهجرة الى فلسطين، لكان المشروع الصهيوني قد فشل . احب ان اضيف في هذا السياق انه من المعلوم اولا ان التاريخ لا يمكن تفسيره تفسيرا بوليسي، اى ان القضية ليست قضية موافقة على الشعب الفلسطيني بقدرما هي ضد اليهود .. بل ان التفسير الحقيقي يمكن في مجموعة من معطيات القرن التاسع عشر. فنحن نعلم انه كان مطلوبا ان تبقى الدولة العثمانية ضعيفة وعدم اعطائها اية امكانية للتقدم حتى يتم حل المسألة يوما ما لصالح الغرب . وفي مرحلة من المراحل استمرت الدولة العثمانية في الوجود، ليس لأنها قوية بل بسبب خوف كل الدول الاوروبية من ان تنفرد احداثا بهذه الدولة قبل حصول الاتفاق بين الدول الاوروبية على تقرير مصيرها . وحلت حملة نابليون، وكان من اهدافها في ذلك الوقت، ليس فقط الاستيلاء على مصر، بل تأسس هند اخرى مقابل الهند الانجليزية التي فشل الفرنسيون في الاستيلاء عليها، حتى تصبح فرنسا امبراطورية البحر الابيض المتوسط، ومن اجل اضعاف بريطانيا على مستوى القارة وقطع الطريق المعروفة في ذلك الوقت بطريق الهند . مذا يفسر كيف فهم الانجليز هذه التهديدات وما فعلوا لمواجهتها اذ ادخلوا المشروع الصهيوني حيز التنفيذ لضمان مستقبل منطقة الشرق العربي على المدى البعيد لصالحهم . وتتجدر الاشارة الى ان الانجليز هم اول من فتح قنصلية بمدينة القدس ثم المدن الفلسطينية الاخري، خلافا للعادة والعرف وحتى الاصحية . فالقدس كانت ذات اهمية ثانوية اداريا مقارنة بالمدن الاخرى . وهم الذين منحوا الحماية والجنسية لكل يهودي يأتي الى فلسطين مهما كانت جنسيته الاصلية – ومذا امتياز كبير في ذلك الوقت – واسعوا عشرات الجمعيات بهدف "احياء" الشعب القديم على ارضه .

ومنذ عام ١٩٣٩، مع صعود محمد على حاكم مصر، ثم دحره فيما بعد على ابواب آسيا الصغرى، أصبح توطين اليهود في فلسطين سياسة رسمية، وتبنى وزیر الخارجية هذا المشروع وكذلك سياسيين انجليز كبار . . وظل هذا جزءا من السياسة العامة حتى عام ١٩١٧، سنة الاعلان عن وعد بلفور، بل ان هناك الكثير من السياسيين الأوروبيين من اشاروا الى ان الحركة الصهيونية وقت ظهورها وصعودها هي حركة انجليزية . وهناك من الشخصيات الانجليزية، مثل مونتيفيروري ولورانس اوليفانت ومجموعة من الضباط من مستويات عليا الذين اشتغلوا في الاربعينيات من القرن الماضي لصالح الحركة الصهيونية . ومل من الصدفة ان اعلان وعد بلفور جاء في نفس التاريخ الذي تم فيه تقسيم بلاد الشام باتفاق بين فرنسا وانجلترا، وهل من الصدفة كذلك ان يتم انشاء فيلق يهودي داخل الجيش

و... ودخلت المنطقة في هذه المرحلة الثانية - بعد مرحلة الرفض المطلق - التي يمكن اعتبارها بشكل من الاشكال ، نجاحا للمشروع الصهيوني ، لانها سمحت للاستعمار والصهيونية بالانفراد بالفلسطينيين الذين تركوا يواجهون مصيرهم من ناحية واقعية لوحدهم.

اما المرحلة الثالثة والتي نعيشها حاليا ، فقد شهدت ثبيت وجود "اسرائيل" ككيان قوى تفاس بالهزائم والفشل في موقف التصدى ، واصبح المطلوب امام هذا الامر الواقع ، هو التخفيف من اذى وخطورة هذا الكيان الذى يهدد الاستقرار ، والمقصود هنا استقرار الانظمة ، والتوصل الى نوع من الاتفاق التعاقدى بشكل ما معه على ارضية قرارات الامم المتحدة او غيرها ، بدعوى أنها هي "الحلول الوحيدة الممكنة".

وهكذا انتقلنا تاريخيا من موقف الرفض المطلق الوايق من فشل المشروع الصهيوني الى موقف التعامل مع هذا المشروع كواقع وحقيقة قائمة بحد ذاتها . ولرسم الصورة كاملة ، يجب القول ام ماساة الفلسطينيين تاتي في الحقيقة من انهم كانوا يرون في خط مواز لهذا التطور كله .. فعلى امتداد تلك المراحل الثلاث ، تحققت عمليات تاريخية اخرى في ارض الواقع يمكن وصفها على الشكل الآتى :

- على المستوى الاجتماعي ، ومع تطور النضال الوطني القطري ، شكلت انواع من الشعوب رسميتها فيما بعد الدول التي قامت ، وأصبحت شعوبا سورية وعراقية وأردنية ولبنانية وتونسية وجزائرية ومغربية .. وأصبح لها حركاتها السياسية ودولتها وجيشهما ومصالحها وطبقاتها ويساريوها الذين يتحدون عن صراع الطبقات فيها .. وباختصار تكونت شعوب على ارضية التقسيم الاستعماري في الوقت الذى كان فيه الفلسطينيون يسيرون بخط مواز في اتجاه تفتت هويتهم الوطنية .

وقد يكون من مفارقات التاريخ أن تكون هذه الشعوب العربية ويلعن رسميا عن قيام دولها وكذلك "دولة اسرائيل" ، في نفس الظرف الذى يتم فيه تفتيت الفلسطينيين وتشريدهم من ارضهم . وهكذا تحول الانسان العربي بصفة عامة الى سوري وعربي ولبناني واردني ... أما العربي الفلسطيني فظل مفقود الهوية الوطنية وبقي الوحيد الذى يفتقر الى دولة ووطن ، أى الوحيد الذى ظل في حالة ما قبل عام ١٩١٧ .

- الى جانب كل هذا ، نشأت ايضا نظم اقتصادية خاصة بكل قطر على حدة ، وكذا الانظمة الاجتماعية التي تعبّر عنها بطبقاتها وفئاتها التي أصبح لها اليوم مصالح سياسية خاصة بها .

اعتبينا ان اهداف هذا الكيان هي "جمع كل اليهود في العالم" ، نجد ان هناك فشل في تحقيق هذه الامداد . ففي مدينة نيويورك لوحدها يعيش من اليهود اكثر من يعيش على ارض قطعان بكمالها . وفي فرنسا الان مثلاً اعداد كبيرة من اليهود الذين هربوا من "اسرائيل" . وإذا ما قلنا ان المشروع يفترض قبوله من طرف المنطقة العربية ، تجد انه نجح نجاحا جزئيا وفشل فشلا كليا ، لانه موجود اليوم ضمن الخريطة ويحسب له حساب في المشروعات السياسية وفي برامج الانظمة القائمة من جهة .. ومن جهة ثانية ، فإنه ظل مرفوضا في العمق داخل الوطن العربي بدليل هذه الاجيال من "الكاميكاز" التي لا زال الشعب الفلسطيني ينتجهما ... وإذا كان الصهاينة قد غيروا الاسماء والهويات : فلسطين أصبح اسمها "اسرائيل" والقدس / "اورشليم" .. فان أبناء فلسطين الصغار يعرفون أن فلسطين ليست اسرائيل وإن القدس هي القدس .. والشعب الفلسطيني لا زال موجودا حتى الان بالرغم من مشاكله الخاصة به ، وهو لا زال يطالب بأرضه . وبهذا المعنى فإن المشروع الصهيوني لم ينجح نجاحا كليا ، لكن بالمقابل يمكن الحديث عن مجموعة من الظواهر - ليس بقصد ادانتها او رفضها او القبول بها ، لكن فقط ادراكتها والوعي بها كحقائق موضوعية - تتجسم أساسا في تعامل الانظمة العربية بشكل خاص والحركات السياسية العربية بصفة عامة مع المشروع الصهيوني ، وذلك عبر ثلاث مراحل أساسية:

المرحلة الاولى : هي مرحلة الرفض المطلق للمشروع الصهيوني ، اذا نظر اليه أنه لا يملك اي أساس من العدالة او من امكانية النجاح .
وفي ذلك الوقت كان الفلسطينيون جزءا من بلاد الشام بشكل مندمج تماما بشريا وسياسيا واقتصاديا بالرغم من بداية استعمار المنطقة وتقسيمها ورسم الحدود داخلها : تلك الحدود التي لم تكن الجماهير تعامل معها كحقائق واقعية ، وحتى الطبقة البورجوازية كانت تعامل مع هذه الحدود وكأنها غير موجودة . فنشأت الحركات السياسية بشكل مشترك وبينها فرق بين الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين والأردنيين . ومع تطور المشروع الصهيوني - ازدياد عدد المهاجرين ومرور حوالي عقد من الزمن - بدات الحركات السياسية تنقسم على نفسها بحكم الاوضاع المفروضة على المنطقة وأصبح الاردنيون والسوريون وال العراقيون و .. يلتقطون الى تحرير ارضهم كهدف وكاهتمام مباشر وبدعوى - قد تكون صحيحة في حد ذاتها - أن تحرير أى قطر عربي من الاستعمار هو مساهمة في تحرير فلسطين وتحقيق اهداف الامة العربية . وهذا ما كان يصادق عليه الفلسطينيون انفسهم ، فصار السوريون يطالبون باستقلال سوريا والفلسطينيون بتحرير فلسطين والمصريون بمصر

لكن مع كل مَا تبقى حالة فلسطين حالة خاصة، لأن ما حدث للفلسطينيين هو استعبادهم واقتلاع جذورهم من أرضهم ونفيهم . . وبالتألي محاولة الغاء جذرهم التاريخي . وهذا لم يحدث للشعوب الأخرى التي اقحمت عنوة في سياق آخر، لكنهم بقوا على أرضهم ولا زال بامكانهم تصحيح مسارهم التاريخي . أما الفلسطينيون فقد ظل تصحيح مسارهم التاريخي مرتبطة بتصحيح مسار الامة العربية العام والذي يبدو حتى الان أنه مغلق، وهذه بالذات هي مشكلة وماة الفلسطينيين . هذا بالإضافة الى معاناتهم من الثقافات السائدة (لدى الانظمة) والتي تسلم بضياع ارض فلسطين كامر واقع وتنادى بضرورة الحفاظ على باقي الاراضي العربية الأخرى حتى لا تضيع مثل فلسطين . . هذا هو جوهر الخط الساداتي وكل المشاريع الانهزامية الأخرى .

"الاختيار الثوري" : اذا ما سمحتم لنا بتلخيص هذا الجزء الاول من حوارنا ، يمكن القول ان جميع تبريرات المشروع الصهيوني قد سقطت وفشل ، الحضاري منها والديني والاجتماعي والإيديولوجي في حين أن هذا المشروع قد حق نجاحا جزئيا باعتباره مخطط استعماري امبريالي يسعى الى تقسيم وتمزيق الوطن العربي والسيطرة عليه، كمنطقة استراتيجية هامة وأساسية بالنسبة للعالم كله ، واقتلاع جذور شعب وتمزيق هويته وفرض – عن طريق العنف والاكراء – تكوين قلعة وترسانة امبريالية متقدمة في هذه البقعة الهامة من العالم التي زادت أهميتها مع تطور مصالح النظام الرأسمالي وبروز مسألة الطاقة والنفط كمسألة حيوية بالنسبة له مع بداية القرن الذي نعيش فيه . . . بالإضافة الى ظهور وبروز المعسكر الاشتراكي ودخول العالم بأسره في مرحلة استقطاب لم يسبق لها مثيل في العسكريين الاشتراكي والرأسمالي، الشيء الذي جعل هذا الاخير يرى في اسرائيل وتقويتها الضمانة الحقيقة في مواجهة "تغلغل الاتحاد السوفيتي" ، وحماية المصالح الامبرialisية الجوهيرية في هذه المنطقة الحساسة .

واذا كانت هذه هي المعاني والدلالة التاريخية الاساسية التي تستنتجها من كل هذه الحقيقة التاريخية، فكيف ترون انعكاساتها التاريخية على الوضع الراهن، خاصة بعد احداث بيروت التي تعد ولا شك منعطفاً بارزاً في مسيرة نضال الشعب الفلسطيني

- ونشأت ايضا نماذج من ثقافات التغريب والحداثة وانشا، الدول على النمط الغربي، وهذا في المحصلة الاخيرة نوع من الانخراط في المشروع الامبرialis على بشكل عام . أما مأساة الفلسطينيين الراهنة، فإنها تكمن في كونهم لم يدركوا حتى الان ان ليس لهم مكان ضمن السياسيات الرسمية الراهنة في الخريطة الحالية، واقول انهم لم يدركوا لانهم مستمررين في التعامل مع الانظمة فقط . والمطلوب بالنسبة لهم، ضمن هذه السياسات، هو "حل دولة" على اساس مشاريع ريفان وفاس وغيرها . وهذا الحل يعترف بحقوق للفلسطينيين ولكن يعترف ايضا لـ"اسرائيل" بوجودها، ويوفر في ذات الوقت اتفاقاً تعاقدياً بين الانظمة الموجودة في المنطقة بما في ذلك اسرائيل، يشمل ضمانات دولية تمنع اسرائيل من الاعتداء على ايّة دولة او نظام عربي آخر . وفي هذه الحالة، أين هو موقع الفلسطينيين؟ وماذا سيصبحون؟

وهذه هي خلاصة الوجه الداخلي للامبرialisية في العالم العربي، اي انخراط هذا الاخير في النظام الرأسمالي العالمي كجزء من توسيع هذا النظام .

"الاختيار الثوري" : لكن يمكن ان يفهم من تحليلكم هذا أن الشعوب العربية قد قد حصلت على ارضها ودولتها واستقلالها وتحررها ما عدا الشعب الفلسطيني الذي ظل مشدداً وبدون هوية وطنية . . . بينما الواقع هو أن الهيمنة الامبرialisية تشمل المنطقة بكاملها، بتفاوتات وصيغ مختلفة، تلك الهيمنة التي تسعى باستمرار الى تدمير هذه الشعوب من الداخل وضرب هويتها الوطنية والثقافية .

الاح بعقوب: أنا اوافق على هذا الاستنتاج موافقة تامة . واضيف أن التدمير الاجتماعي والثقافي لم يكن من نصيب الفلسطينيين فقط، بل انه استهدف الامة العربية بكاملها . ففي الوقت الراهن هناك فكرة غامضة لدى الناس على اتنا عرب، لكن هناك بالمقابل حقائق وسياسات قطرية تشمل السلطة والمعارضة الى حد ما، وهذا جزء من "الانسداد التاريخي" الذي نعيشه، وقد يكون جزءاً من ازمة هذه المعارضة في ابعادها عن الجماهير التي تركت لوحدها لتنتفض ولتواجه القمع والقتل .

هذا ما يقودنا الى ضرورة مراجعة الافكار والبرامج والمبادئ، والاسس التي تعلمناها سوا، في المدارس العادلة او المدارس السياسية التي نشأنا وترعرعنا فيها واعادة النظر في المصطلحات نفسها .

بالعكس هناك العديد من الاخطاء والمسارات البيروقراطية، ولكنني أريد فقط وضع الامور في نصابها واطارها التاريخي . والا كيد يمكننا ان نفهم عدم انتقاد المجلس الوطني الفلسطيني حتى الان ، ووضع كل العراقيين في وجهه؟ فاذا كانت المشكلة فلسطينية داخلية، فان المجلس الوطني هو اطار حلها، فلماذا لا يوجد مكان لانتقاد المجلس الوطني الفلسطيني على ارض العالم العربي؟ وهذه مأساة حقيقة يعاني منها الفلسطينيون ... ولماذا لا نجد هيأكل عربية فعلية لدعم الثورة الفلسطينية دعماً حقيقياً، ونجد فقط هيأكل لللوساطة والتسوية؟ ولماذا يجد الفلسطيني كفرد جميع ابواب الدول العربية مغلقة في وجهه، ويتعانى من شق العرقي والصعيديات حتى في اطار زيارات عادية؟ ... ولماذا يدفع الفلسطينيون الى الاقتتال الداخلي والتمزق وسحب ما تبقى من شرعيةهم ومكاسبهم؟ ولمصلحة من يتم كل هذا؟ ...

خلاصة القول اذن، ان ما جرى في بيروت وما يجري الان يندرج تماماً في اطار المرحلة الثالثة، اي تحت عنوان : بحث الانظمة العربية على تسوية ما مع "اسرائيل" ، وغير هذا هو عبارة عن تفصيلات تبقى ثانوية .

"الاختيار الشوري" : هذا يعني أن ما حدث في بيروت ، هو مجرد أحداث نوعية أتت كتراكم لنتائج مرحلة بكماتها ، وتوضيح نوعي في علاقة الانظمة العربية بالقضية الفلسطينية كنتيجة طبيعية لتعاطها معها خلال هذه المرحلة ، وان ما يجري الان ، ما هو الا تجسيد لاحدى الدلالات التاريخية للمشروع الصهيوني ، كمشروع امبريالي استيطاني ، والذي سبق أن تحدّثتم عنها بعمق وتفصيل . الواقع أن اسرائيل عندما اجتاحت لبنان بدعوى "الحفاظ على الامن" ، فإن الامن المقصود هنا هو أنها كيان وأمن الانظمة العربية أيضاً . كما أن الانظمة عندما تتدخل لاذكاء الاقتتال والتفرقة والتمزق وسط الثورة الفلسطينية ، او للبحث عن التعاقد السياسي مع اسرائيل ، فائماً تعمل على دعم نفس "الامن" المذكور ، سواء بالطرق العسكرية والمادية ، او السياسية والدبلوماسية .

وفيما يتعلق بأزمة اليسار العربي التي أشرتم اليها ، نرى من الناحية المنهجية ان الثورة الفلسطينية ليست خارجة عن اطار هذا اليسار باعتبارها جزءاً منه ، اي من القوى الوطنية والتقدمية

الاخ يعقوب : في الحقيقة يمكن فهم ما حدث في بيروت ضمن السياق العام التاريخي الذي أشرنا اليه سابقاً، اي ان الصراع الذي ابتدأ بين العرب من جهة، والامبرالية والصهيونية من جهة ثانية، تحول تدريجياً الى صراع مباشر بين "اسرائيل" والشعب الفلسطيني الذي ترك لوحده، في حين ان العالم العربي بانظمته القائمة ينشغل في قضاياه الخاصة . فالمنطقة خاصة (المغرب، الجزائر، تونس، موريتانيا، ليبيا) انشغل بمسألة الصحراء التي أصبحت لهم أكثر من طرف . وفي الخليج العربي، خرج العراق من الصراع العربي الاسرائيلي بالانخراط في الحرب مع ايران . وعلى مستوى بلاد الشام ، يعيش كل نظام مشاكله الداخلية الخاصة ، بالإضافة الى انعكاسات الوضاع في لبنان . وسبق كل هذا اتفاقية كامب ديفيد وما تلاها من مشاريع فهد وريagan وقمة فاس ، لتسوية عربية اسرائيلية تحت رعاية الاميريكية الامريكية .

وهكذا فان المنطقة العربية بانظمتها القائمة، قد انشغلت بمسألة الاستقرار الداخلي ، اي استقرار الحكم والحاكم . والواقع ان الفلسطينيين ، خاصة في مرحلة تواجدهم القوي في لبنان ، يشكلون خطراً على هذا الاستقرار لأنهم يطالبون الانظمة العربية بمعاوف وسياسات مناقضة لمصالحها ، ويشكلون في نفس الوقت ملجاً لكل المعارضات والحركات التقدمية بالمنطقة .

في اطار هذا الجو، أتى العدوان والاجتياح الصهيوني للبنان والاحاديث التي رافقتة ، وفي الوقت الذي كانت تجري فيه مسارك ، بكل ما للكلمة من معنى ، كانت الانظمة العربية متشلطة بمصالحها الخاصة ، وهي تتفرج . وهذا التفريج يعتبر دلالة أساسية على المرحلة الثالثة التي ذكرنا ، ودلالة على رض الانظمة العربية بـ"اسرائيل" والبحث عن تسوية معها باى شكل من الاشكال ، اكثر مما هي دلالة عن وجود مشاكل داخل الصف الفلسطيني . وللوضوح ، فانني لا استبعد وجود هذه المشاكل الداخلية ، لكنني اضعها في اطارها التاريخي . فالفلسطينيون منذ وجودهم ونشأتهم ثورة ، كانوا ملغومين بشكل او باخر بامتدادات الانظمة العربية ، لكن السؤال هو : لماذا لم تنفجر هذه الامتدادات الا فيما بعد بيروت؟ ولماذا تبحث الانظمة العربية بشكل علني وعلن عن تسوية مع اسرائيل الان وليس قبل؟ اي بعد ضرب الثورة الفلسطينية واضاعتها وليس قبل ذلك . وهل من الصدفة ان تكون معظم المعارك الفلسطينية مع الانظمة العربية وليس مع "اسرائيل" ؟

وانا لا ادعى ان القيادات الفلسطينية مغصومة ومنزهة من الاخطاء ، بل

العربية. ومن هذه الزاوية، كيف تنظرون الى هذه الازمة وآفاق حلها؟

الا بعروب: ان لازمة اليسار، بما فيه الثورة الفلسطينية، اوجها عديدة، ساركز على اهمها. فالوجه الاول هو انخراط اليسار من حيث يدرى او لا يدرى في الخريطة القائمة، معنى انه أصبح يعتبر ان له بقعة ارض يشتعل فيها، وجمماهيرها يعتبرها بمثابة قطاعه الخاص، أما ما عدا ذلك فلا يهمه. وما يترجم على مستوى الممارسة بغياب البرامج المرحلية والبعيدة المدى، وطفيان الخاص والخصوصي على ما هو عام وشامل.

والوجه الثاني يمكن في ان اليسار ظل اسير لغته التي تبعد عن الجماهير، الشي، الذي جعل هذا اليسار يعتبر ان الخطاب هو خطاب الجماهير التي لم "تكتسب الوعي" الكافي ولم "ستوّب شروط مستلزمات الحداثة والعصرنة" ... وهذا ما يفسر ضعف اليسار بصفة عامة وعزلته.

والوجه الثالث نجده في التعاطي مع القضية الفلسطينية نفسها بمنطق "عدم التدخل في الشؤون الداخلية للغير" ... وليس بمنطق وحدة المصالح والمصير. بحيث نجد ان الانظمة العربية واليمين العربي بصفة عامة تتفق فيما بينها وتتوصل دانما الى ارضية عمل مشتركة، في حين ان اليسار لا يتفق، ويظل منقسم على نفسه سوا، على المستوى القومي العام، او على مستوى كل قطر من القطر العربي.

واليسار العربي الى حد الان، لم يصل فعلا ليصبح ديموقراطيا لا في بنائه الداخلي ولا في وعيه وبرامجه وتعامله مع الجماهير. ولا أقصد بالديمقراطية هنا المفهوم البرلماني، بل المفهوم الصحيح باعتبار الديمقراطية مفتاح لحل مشاكل الجماهير وفتح لكل وعي شعبي ولكل امكانية لحل المشاكل التي تعانيها الجماهير بواسطة هذه الجماهير.

اما بالنسبة للاقلاق، اقول صراحة اني متشائم، واتصور مزيدا من استقرار الاوضاع الراهنة ومزيدا من التمزق على المستوى الفلسطيني واليسار العربي والقضية بصفة عامة. وحتى الان ليس هناك في الافق ما يوشر بعكس ذلك، لكن هذا التشاؤم مطروح على المدى القريب فقط، لاننا نعيش مرحلة مخاض هامة قد تسفر عن نتائج ايجابية بالنسبة للمستقبل. وبهذا المعنى أنا متفائل. وهذه النتائج لا يمكن توقعها بالتدقيق، فقد تكون عبارة عن تيار شعبي جارف او الانتفاضة السريعة. وفي العالم العربي اليوم هناك حالة من التماسك الهش بين مجموعة من

الانظمة المهزة، تماسك الضعفاء وليس الاقوياء، فكسر اي حلقة ضمن هذا الوضع سيفتح آفاقا جديدة لا يمكن ادراك ابعادها مسبقا. وقد يكون مدا الكسر في قطر من اقطار المغرب العربي، او في قطر من اقطار المشرق، وقد يكون في كليهما معا او بشكل متلاحم، لكن لا شك ان انشغالات وانحرافات العالم العربي اليوم، هي انشغالات الانظمة والقصور التي تحكمها فقط، وليس انشغالات الجماهير، التي تعتبر منذ اربع سنوات على الاقل على اشكال من الانتفاضات العقوبة التي تنذر بالانتفاضة الثورية التي ستتمكن ربما من كسر الانسداد التاريخي الذي نعيشه.

على المستوى الفلسطيني البحث، فاني ارى ان الحلول التي تقدمها "الجهة الشرعية" ليست بالحلول المثلث، لكنها الان هي - مع الاسف - الحلول الوحيدة الممكنة، اي اعادة الحياة للشرعية الفلسطينية وللمكاتب التاريخية التي اكتسبناها. واقصد بذلك تجديد نشاط منظمة التحرير الفلسطينية واعادة هيكلتها وبنائها عبر هيئاتها الشرعية (المجلس الوطني واللجنة التنفيذية) كمطالب عاجلة يجب تحقيقها، لكنها ليست هي الحل لازمة المقاومة، بل الحل لازمة الراهن فقط. أما الحل الفلسطيني التاريخي فإنه يدخل ضمن اطار الحل العربي التاريخي للانسداد الراهن، ولا حل لازمة فلسطين ولا تسوية لها خارج هذا الاطار.

فالمطلوب اليوم هو رفع الاصوات للمطالبة بالديموقراطية بمفهومها الصحيح من اجل اعادة تشكيل الامة العربية على ارضية جديدة من الحرية والمساواة واعادة بنا، وحدتها بعد ما صارت اقطارا والاقطار طوانقا والطوانف تتحول الى عشرات واسر الخ ... ومن اجل الغاية كل هذه المشاريع الانقسامية الموجودة في العالم العربي الرامية الى انشاء دول صغيرة جديدة، لأن الوطن العربي في الحقيقة مليء بالاقليات التي يمكنها ان تنقسم وتطلب باستقلالها اذا ما استمرت اوضاع التردى الراهنة على ما هي عليه، وبالتالي ب��نها بالديموقراطية في عملنا وتعاملنا كيسار وكحل لازمة وطننا العربي . وضمن حالة المخاض التي نعيشها، يجب ان نبقى متفائلين لنضالنا وكفاحنا ووحدتنا الحتمية الضرورية.

وختاما اشكر مجلة "الاختيار الشوري" على هذه الفرصة التي اتيحت لي للتعبير عن بعض الاراء في اطار اشعر فيه بكامل الراحة والارتياح ...